الأسس اللسانية للقاموس السياحي

د. خالد هدنة

بذل علماء العربية جهدهم في خدمة اللغة، فجمعوا ألفاظها ورتّبوها وفق طرائق متنوعة ومتكاملة تفننوا في وضعها فنظروا إلى الألفاظ فرأوا أنها تتألّف من تسعة وعشرين حرفا

لا يخرج عنها أية كلمة ، فاعتمدوا هذا المعيار في حصر اللغة بترتيب هذه الحروف في نظام ثابت ، اختلف باختلاف وجهات النظر والغاية من التأليف المعجمي سعيا منهم إلى تيسير عملية البحث عن مواضع الكلمات ودلالاتها في هذه المؤلفات التي اصطلح على تسميتها بالمعجم.

١- مفهوم المعجم

والمعجم كلمة مشتقة من مادة (عجم) التي يقصد بها في اصل اللغة: العضّ تقول عجمت العود أعجمه ، إذا عضضته لتعلم صلابته من خوره.١

وهي كذلك الغموض وعدم البيان قال الأزهري:" وأخبرني أبو الفضل عن أبي العباس أنه سئل عن حروف المعجم: لم سمِّيتْ مُعجماً ؟ فقال: أمّا أبو عمرو الشيبانيّ فيقول : أَعْجَمت أنْهَمت . قال : والمَعْجَميّ مُبهَم الكلام لا يتبينَّ كلامه"٢.

والمراد بالإعجام تمييز الحروف المتشابهة بوضع نقط لدفع اللبس قال الأزهري:" وقال الليث : المُعْجَم : الحروف المقطَّعة ، سمِّيت معجَماً لأنها أعجمية . قال : وإذا قلت كتابٌ معجَّم فإنّ تعجيمَه تنقيطه لكي تستبين عُجمتُه وتَضِحَ"٣.، فالهمزة في "الإعجام" للسلب والنفي، أي لإزالة العجمة كما في قولك :

أقذيت عين فلان إذا أزلت ما بها من قذى

وأقسطت بمعنى عدلت أي أزلت الظلم.

وبهذا يكون معنى أعجم : أزال العجمة أو الغموض أو الإبهام، ومن هنا أطلق على نقط الحروف لفظ الإعجام لأنه يزيل ما يعترضها من غموض، ومن هنا أيضا جاء لفظ المعجم بمعنى الكتاب الذي يجمع كلمات لغة ما ويشرحها ويرتبها بشكل معين.

٢- ظهور المصطلح

لم يكن اللغويون أول من استعمل لفظ "معجم" عنوانا لكتبهم، وإنما سبقهم إلى ذلك علماء الحديث النبوي فقد وضع أبو يعلى(٣٠٧هـ) معجم الصحابة، ووضع البغوي (٣١٧ه). المعجم الكبير والمعجم الصغير في أسماء الصحابة، ووضع أبو بكر النقاش الموصلي (٣٥١ه) المعجم الكبير والأوسط والصغير في قراءات القرآن.

ولعل أول من جعل المصطلح عنوانا لكتابه من اللغويين هو ابن فارس (٣٩٥هـ) في "معجم مقاييس اللغة".

٣- بين المعجم والقاموس

ذهب بعض الدارسين من لغويين ومعجميين و المصطلحيين إلى تخصيص هذين المترادفين إن صحّ التعبير والتفريق بينهما، خاصة وأن علم المصطلح الحديث يسعى إلى تخصيص مصطلح واخد للمفهوم الواحد في الحقل العلمي الواحد، بحيث لا يعبر المصطلح الواحد عن أكثر من مفهوم واحد، ولا يعبر عن المفهوم الواحد بأكثر من مصطلح واحد. وهذا يتطلب التخلص من الاشتراك اللفظي والترادف في المصطلحات.٤

المعجم في اللسانيات الحديثة هو اللفظ المقابل للمصطلح الأجنبي lexicon أوlexique يورد صاحب القاموس في مادة "قمس" أنها تعني "الغوص"، وأن "القاموس" هي (بئر تغيب فيها الدلاء من كثرة مائها)، أما القاموس فهو "معظم ماء البحر."٥

ويشرح لويس معلوف كلمة "القاموس" بمعنى "البحر" وهو أيضا "كتاب الفيروز آبادي في اللغة" ثم يضيف "ويطلقه أهل زماننا على كل كتاب في اللغة، فهو عندهم يرادف كلمة معجم وكتاب لغة"٦، ويعيب د. إبراهيم السامرائي هذا الاستعمال، ويرى أن الصواب هو استعمال كلمة "معجم" للتمييز بين كتاب "الفيروز آبادي" المشهور، والمؤلفات المعجمية الأخرى. إلا أن د. عبد العلي الودغيري يرى أن هذا

الاستعمال (القاموس) قد شاع حاليا، وقد انتهى تطور اللفظة من حيث الدلالة إلى المعنى الدال على الكتاب الجامع لألفاظ لغة ما مرتبة ترتيبا معينا، فبعد أن كانت كلمة "قاموس" تعني "وسط البحر أو معظمه، ثم أصبحت علما على كتاب الفيروزبادي"، صارت تعني أخيرا "كل كتاب لغوي يحتوي على طائفة من الكلمات المرتبة والمشروحة". يجب إذن الفصل بين "قاموس" و"معجم" فيستعمل المصطلح الأول للدلالة على كل كتاب أو تأليف له هدف تربوي وثقافي ويجمع بين دفتيه قائمة من الوحدات المعجمية (المداخل) التي تحقق وجودها بالفعل في لسان من الألسنة ويخضعها لترتيب وشرح معيّنين ويقابله في الفرنسية كلمة (Dictionnaire)، أما مصطلح معجم فيرى أنه أنسب للدلالة على المجموع المفترض واللامحدود من الوحدات المعجمية التي تمتلكها جماعة لغوية معينة بكامل أفرادها، بفعل القدرة التوليدية الهائلة للغة، ويقابله في اللغة الفرنسية (Lexique).٧

ويسير د. إبراهيم بن مراد في نفس الاتجاه الذي يدعو إلى التمييز بين المصطلحين، هذا الاتجاه الذي يعتبر مصطلح"القاموس" بأنه الصناعة التي تتوق إلى حصر لائحة المفردات ومعانيها أما "المعجم" فهو المخزون المفرداتي الذي يمثل جزءا من قدرة المتكلم / المستمع اللغوية.

"فإبراهيم بن مراد" يعبر عن مجموع الوحدات المحصورة في كتاب، والمرتبة ترتيبا معيّنا بالقاموس، أو المعجم المدوّن، ليفرق بينه وبين المعجم اللساني يقول في هذا الشأن:" فإذا أخذ المعجمي من ذلك الرصيد العام الجامع جزءًا – سواء كبر أم صغر- فدوّنه في كتاب أو خزّنه في مكنز سمّي ما دوّنه معجما مدوّنا أو قاموسا، حسب الاصطلاح الشّائع. ولا يمكن للمعجم المدوّن...أن يستوعب المعجم اللساني كلّه."٨

فابن مراد يعطي للمعجم مفهومان: الأول عام ويقصد به مجموع الوحدات المعجمية التي تكوّن لغة جماعة لغوية ما تتكلّم لغة طبيعية واحدة وهو مقابل للمصطلح الفرنسي lexique

والثاني خاص وهو أنّه مدوّنة (corpus) المفردات المعجمية في كتاب مرتّبة ومعرّفة بنوع ما من الترتيب والتعريف.٩ ويرى كذلك أن القاموس امتداد للمعجم، وليس هو بمستقلّ عنه. فهو رصيد معجمي جزئي مستخرج من المعجم الذي هو الرّصيد اللّساني العامّ، الذي تكوّن الوحدات المعجمية فيه الوحدات اللّغوية الأساسية في لغة أيّ جماعة لغويّة.١٠

وهو الذي يطلق عليه الودغيري مصطلح القاموس ويرى ضرورة التفرقة بين المصطلحين في اللسانيات الحديث ويبرر ذلك بما يلي:

١- أن الإحاطة بمعجم الجماعة المتكلّمة مستحيل عمليا.

٢- أن جامعي اللغة ومدوّنيها كان هدفهم هو الاقتصار على وصف جانب من اللغة المستعملة دون جانب آخر.

٣- أن الوسائل العلمية التي استخدمت في الجمع والاستقراء كانت وسائل محدودة جدّا.

نخلص من هذه الآراء أن التفرقة بين المصطلحين غرضه رفع اللبس سواء فيما ذهب إليه السامرائي أو ما ذهب إليه كل من الودغيري والفهري وابن مراد. أما الأول فكان غرضه إزالة اللبس الحاصل بين القاموس للفيروزبادي وبين سائر المعجمات.

وأما الثاني فكان غرضهم التفرقة بين ما هو ممكن وما هو غير ممكن، بين ما هو بطبيعته شامل، وما هو قاصر وجعلوا العلاقة بين القاموس والمعجم علاقة العام بالخاص.

والذي نذهب إليه هو تفضيل التفريق بين المصطلحين و كلمة المعجم خاصة تتحدد من السياق المستعملة فيه فإذا قلنا معجم اللغة العربية أو معجم جماعة معينة في زمن معين فإننا لا نقصد بذلك الكتاب الذي يحوي على ألفاظ هذه اللغة أو هذه الجماعة؛ ذلك لأنه من المستحيل حصر اللغة. أما إذا قلنا معجم المصطلحات الطبية أو معجم الخليل فإننا نقصد به الكتاب أو المعجم المدوّن، الذي يحتوي على طائفة من الوحدات اللغوية. وفي أحيان كثيرة يستعمل الدارسون اللفظتين بوصفهما مترادفتين.١١

٤- أركان التأليف المعجمي

تقوم المعاجم أساسا على ركنين هما الجمع والوضع على حد تعبير ابن منظور، والجمع هو تكوين المادة المعجمية، والوضع هو معالجة المداخل التي يتكوّن منها المعجم، وركن الجمع في المعجم يقوم على أسّين: أولهما ما يعرف بالمستويات اللغوية، والركن الثاني هو ما يسمى بالمصادر اللغوية. أما المستويات اللغوية فهي: الفصيح وهو ما ثبت عن الأعراب وانتمى إلى دائرة الاحتجاج، والمولّد وهو

ما خرج عن دائرة الاحتجاج ونسب إلى المولّدين، والعمّي وهو ما نسب إلى العامة أو كان فصيحا وحرّفته العامّة، الأعجمي أو الأجنبي وهو المنسوب إلى اللغات الأعجمية.

والأس الثاني من ركن الجمع هو المصادر فكل تأليف معجمي لابد ان يجمع مادّته من مصادر، ومصادر المعجم العربي خاصة القديم ظاهرة والتي تتمحور حول القرآن الكريم والحديث النبوي، وما ثبت عن العرب الفصحاء من شعر ونثر.

والركن الثاني من ركني التأليف المعجمي- هو الوضع، أي معالجة المداخل المعجمية – وجدناه يقوم هو أيضا على أسّين: أولهما هو الترتيب، وثانيهما هو التعريف. وهذان الأسّان هما اللذان يحددان هوية المعجم الحقيقية. إذ لا يمكن للمعجم أن يشتمل على مداخل غير مرتبة بأي ضرب من الترتيب المنهجي الذي يشاء المؤلف، وغير معرفة بحسب ما تقتضيه الوحدات المعجمية من التعريف. وإذا خلا المعجم من هذين الأسين- وخاصة من التعريف- وجب أن يطلق عليه اسم آخر غير المعجم مثل" قائمة المصطلحات"(Nomenclature) أو "المسرد" (Glossaire) .

فالتعريف في المعجم عامة صنفان: الأول يسمى "التعريف اللغوي" وهو يستعمل في تعريف ألفاظ اللغة العامة، أو في تعريف المفاهيم بألفاظ لغوية عامة، فيقوم على تبيان خصوصية المدخل اللغوي من حيث بنيته – أو شكله – ودلالته، وهذا الصنف هو المعتمد في المعجم اللغوي العام. والصنف الثاني هو "التعريف الموسوعي"، وهو يستعمل في تعريف الأشياء والمفاهيم، أي في تعريف المصطلحات من حيث هي مرجعة إلى أشياء ومفاهيم تسمى مراج (Référents)، وهذا الصنف يقوم على الإخبار عن خصائص المرجع المعرف من نواح عدة كالشكل والأبعاد والحجم والمقدار والوظيفة...إلخ.

وتجرنا هذه النقطة إلى الحديث عن مصطلحين مهمين في الدراسات المعجمية الحديثة هذان المصطلحان هما: الموسوعة والقاموس.

فالموسوعة هي قواميس أو معاجم مدوّنه اشتملت على ضروب من المعارف العامّة أو الخاصّة غير اللّغوية المحضة.١٢

وقد بحث بعض اللغويين المحدثين في العلاقة بين القاموس والموسوعة فوجدوا ثلاثة مستويات في علاقة القاموس بالمعجم:

الأول: الموسوعة، حيث تقدّم معلومات عن العالم أو الكون، أي عن تجربة الجماعة اللغوية في الكون.١٣

الثاني: القاموس اللغوي، وهو يقدّم معلومات عن اللغة التي تستعملها الجماعة اللغويّة

الثالث: القاموس الموسوعي، وهو جامع بين المستويين الأول والثّاني.١٤

والترتيب هو الطريقة أو المنهج الذي يتّبعه المعجمي في تنظيم المادة اللغوية حتى يستطيع مستعمل المعجم المطلع على ذلك المنهج العثور على بغيته بسهولة وسرعة. وكلّما كان المنهج محكما كلّما كان الوصول إلى الهدف أيسر وأسرع.

وفكرة الترتيب هذه ليست غريبة على الذهن العربي فقد أدرك اللغويّون العرب هذا الأمر فابتدعوا أنماطا للترتيب، وتفننوا في وضع المعاجم وفي طرق تبويبها، وتعددت مناهجهم حتى كادت تستنفد كل الاحتمالات الممكنة، وكانوا منطقيين حينما لاحظوا جانبي الكلمة وهما اللفظ والمعنى، فرتبوا معاجمهم إجمالا إما على اللفظ وإما على المعنى، وبهذا وجد قسمان رئيسيان هما :

١- معاجم المعاني.

٢- معاجم الألفاظ.

كل ذلك يعد أساسا لا بد منه لإنشاء قاموس يجلي مصطلحات السياحة ولنبين ذلك حاولنا إيجاد هذه الأركان في عملنا الذي خصصناه لكل الأسس اللسانية التي رأيناها ضرورية لوضع قاموس خاص بالسياحة في ورقة عمل منفصلة عن هذه المقدمة النظرية.

الهوامش

١ الجوهري، الصّحاح، تح: شهاب الدين أبو عمر، دار الفكر، بيروت لبنان،ط١ ،١٩٩٨ ،(ع ج م)

٢ الأزهري، تهذيب اللغة ،تح: محمد عوض مرعب ، مادة (ع ج م)

٣ الأزهري، تهذيب اللغة ،تح: محمد عوض مرعب، مادة (ع ج م)

٤ علي القاسمي، المعجمية العربية بين النظرية والتطبيق، مكتبة لبنان ناشرون، ط١، ٢٠٠٣، ص:٧

٥ الفيروزبادي، القاموس المحيط، مادة (قمس)

٦ لويس معلوف، المنجد في اللغة، المطبعة الكاثوليكية، بيروت، ط١٩، مادة (قمس)

٧ عبد العلي الودغيري، دراسات معجمية نحو قاموس عربي تاريخي وقضايا أخرى،٢٠٠١، ص:٢٠، ٢١

٨ إبراهيم بن مراد، قضية المصادر في جمع مادة المعجم، مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق، مجلد٧٨ ،ج:١ ،ص:٧٨٦

٩ إبراهيم بن مراد، مقدمة لنظرية المعجم، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط١، ١٩٩٧، ص:٧

١٠ إبراهيم بن مراد، من المعجم إلى القاموس، دار الغرب الإسلامي، تونس، ط١، ٢٠١٠،ص:١١٤

١١ علي القاسمي، المعجمية العربية بين النظرية والتطبيق، ص:١١

١٢ إبراهيم بن مراد، من المعجم إلى القاموس، ص:٩٩

١٣ ينظر في ذلك Georges mounin : dictionnaire de la linguistique ، p: ١٢٥

١٤ إبراهيم بن مراد، من المعجم إلى القاموس، ص:٩٩